التقارب البعثي المصري

– متى حدث التقارب بين البعث ومصر؟.

– البعث لم يتقرب من مصر الا بعد تأميم قناة السويس. يوم العدوان الثلاثي على مصر كنت رئيس محكمة عسكرية أعقد جلسة في القنيطرة صباح العدوان في 30 ايلول 1956، فاقترحت أن نفتتح الجلسة بقرار نشجب فيه العدوان على مصر ونحيي فيه بطولة الشعب المصري وصموده أمام المستعمرين. وكان معي عضوان بعثيان: واحد من جماعة أكرم حوراني هو مصطفى حمدون والثاني عفلقي هو بشير صادق عارضا إصدار هذا القرار واحتجا بأن عمل عبد الناصر في تأميم القناة هو صرف للأنظار عن ثورة الجزائر التي كانت مشتعلة حينذاك. ولكنني أصررت وقلت بأنني أصدر القرار باسم رئاسة المحكمة فاضطرا للتوقيع. كان البعثيون يسمون الحكم في مصر "حكم البكابشة" احتقارا!.

بعد الجلسة مباشرة طلبت الالتحاق بالقطعات الذاهبة الى الأردن فعينت قائد لواء المدرعات. عقد اجتماع في القيادة الأردنية في عمان فاقترح علينا اللواء أبو نوار أن نأخذ الفرقة السورية مباشرة الى الضفة الغربية لمنطقة القدس على أمل أن نهاجم القدس اليهودية في تطورات الحوادث. في ذلك الوقت بلغنا من دمشق بأن المشير عامر أرسل برقية بعدم تدخل الجيش السوري والجيش الأردني في العمليات الحربية. وقتها سألت القيادة الأردنية ماهي القوات التي لديهم في الضفة الشرقية، على الأخص في إربد الواقعة على محور هام جدا بالنسبة للجبهة السورية فأجابني أبو نوار بأن هناك سرية مشاة واحدة فقط. عندئذ طلبت من الفرقة السورية أن تنتشر على محور المفرق–إربد–المجامع لعدة أسباب: الأول الإبقاء على الإتصال مع القيادة السورية، والثاني سد هذا الطريق ومنع كل محاولة للعدو للإلتفاف بالجبهة السورية، والثالث في حالة الهجوم على اسرائيل يكون الاتجاه نحو حيفا على هذا المحور لقطع اسرائيل الى شقين. في هذه الأثناء كانت الحكومة العراقية تدبر مؤامرة لقلب الحكم في سوريا. وكانت تخزن أسلحة في وعرة الصفا وحول المفرق وفي السفوح الشرقية لجبل العرب، وهي منطقة عشيرة المساعيد التي كانت العراق تستعين بها وشيخها "هايل سرور" من زعماء المتآمرين في ذلك الوقت بالذات. وكان إلحاح الحكومة الأردنية وقيادتها على ارسال الفرقة السورية الى الضفة الغربية في منتهى الاصرار والشدة. ولكنني عارضت هذه الخطة لأنها غير مفيدة وخطرة بالنسبة لمجمل الجبهة الشرقية، وأصررت أن تتمركز الفرقة على المحور الآنف الذكر في منطقة إربد مما أدى الى احتجاج الحكومة الأردنية وطلبها من دمشق أن تسحبني من الأردن. قلت:" إربد هي نقطة عسكرية ليس فيها الا سرية واحدة ومن السهل على الاسرائيليين أن يحتلوها ويلتفوا حول الجبهة السورية ".قالوا "ما هذا القائد الذي يتكلم في السياسة؟ " القيادة

السورية لم ترد عليهم فبقيت أنا في إربد، وعندما تمركزنا هناك أسقط في يد المتآمرين لأن الفرقة كانت في الأرض التي ستكون قاعدة الانطلاق للمؤامرة على سوريا، مما يؤكد أن الإلحاح على ارسال الفرقة الى الضفة الغربية كان لإبعاد الاحتياطي السوري الى مكان لا يستطيع معه التدخل اذا قامت تحركات ضد الحكم الوطني في سوريا. وفيما بعد قبض على كل المتآمرين مع كل الأسلحة التي خزنوها في المناطق المذكورة وجرت محاكمتهم وكنت أنا رئيس المحكمة (محاكمة العجلاني). موقع إربد في المحور الذي ذكر يشكل موقعا هاما جدا لأنه محور اتصال الجبهتين السورية والأردنية.

وعندما كنا في المفرق اتصلت بـــعبد الكريم قاسم الذي كان قادما مع لواء عراقي تمركز بجوارنا في المفرق. وقامت بيني وبينه صداقة متينة. كان يحدثني عن سوء الأحوال في العراق ومن جملة ماقاله لي "انني شهريا أقبض مائتي دينار كراتب في الوقت الذي يوجد فيه في العراق انسان بائس محروم من كل شيء. هناك عمال زراعة الأرز مثلا، من كثرة ما يخوضون في المياه التي تغمر الأرز تهترئ لحوم أقدامهم وتضطر زوجاتهم للسهر في الليل بجانبهم لتحميهم من الجرذان التي تتربص لالتهام أقدامهم". وكان عبد الكريم يعلق على هذه الصورة قائلا "كيف أستطيع أن أبلع لقمة الخبز وفي بلادي انسان كهذا يعيش هناك؟ " وقال لي مرة بأنه يدبر خطة لاقتلاع العائلة المالكة من جذورها وعدم السماح لها بالهرب من العراق كما فعلت في عام 1941 لتعود وتقضي على الثورة". فقلت له "نحن والجيش السوري مستعدون أن ندعمه بكل إمكاناتنا عندما يقرر تنفيذ مخططه والقيام بالثورة. واذا قدر لها أن تفشل فاننا مستعدون أن نضم كل من اشترك بالثورة للجيش السوري. كنت أنا قائد الجيش الحقيقي وممثلا للضباط الشباب الأحرار في سوريا. وهيأت اجتماعا في خيمة نصبت في المفرق وطلبت حضور رئيس الأركان السوري اللواء نظام الدين وضباطه رؤساء الشعب. وكان يمثل العراق الزعيم عبد الكريم قاسم ومعاونه العقيد عبد السلام عارف. وفي هذا الاجتماع جرى الاتفاق على دعم حركة عبد الكريم قاسم المقبلة من قبل الجيش السوري. لم أكن أرتاح الى عبد السلام عارف، لتفاهة أحاديثه وتقلب آرائه وضحالة أفكاره واصراره الدائم على شتم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وما كنت أدري بأنه يمثل. مرة قلت لقاسم بأنني لا أرتاح لهذا الشخص فطمأنني قائلا بالحرف الواحد "ما يخالف، هدا تلميذي وأنا أعتبره مثل ولدي".

ان اصراري على وضع الجيش في اربد هو الذي أفشل الانقلاب المزمع على سوريا والذي كشفته محاكمة العجلاني.. كان أبو نوار يريد أن يستدرجني الى القدس لتبتعد الشقة ما بيني وبين سوريا (2000 كم) وأنا كنت أتصرف حسب ما يمليه علي أمن وحماية الأردن وسوريا.. فلما قيل لي أنه لايوجد في إربد الا سرية واحدة وجدت من وجهة نظر عسكرية أن اسرائيل قادرة من هذا المكان على تطويق الجبهة

الأردنية والسورية. وكان قراري هذا بعد أن جاءت برقية عامر بأن لا نتدخل لأن المعركة انتهت ونزل الفرنسيون والانجليز في بور سعيد وأصبح الحل سياسيا. كنت في القيادة في عمان عندما أصدرت الأمر للجيش أن يتوقف في مكانه حتى تأتيه أوامر أخرى. وتلفنوا للملك حسين فجن جنونه، ودخل ولم يسلم. طلب من سوريا سحبي قائلا بأنني لا أصغي للأوامر وأتحدث بالستراتيجية. كان ضالعا في المؤامرة على سوريا، التي كان مخططها قيام الثورة في جبل الدروز وحلب وحمص، فظن أنني على علم بها وخصوصا حين لم يصغ الرئيس اليه..

* * *

–لم يحدث أبدا حين كان يوكل الي أمر القضاء أن تصرفت بدافع الحقد أو الانتقام، بل كنت أتحرى الحقيقة دائما فيما يصدر عني من أحكام. هكذا فعلت مع فؤاد جديد حين بدت لي أدلة اتهامه غير مقتعة، بالرغم من إصرار النائب العام بأنه كان شريكا في مقتل المالكي، فليس بالضرورة أن يكون كذلك لكونه أخ غسان جديد المتهم الأول في المؤامرة؛ فالأحرى في مثل هذه الحال أن لا يورط الأخ أخاه ان لم يكن له فيها دور فعال، باعلامه مسبقا بها وجعله شريكا فيها..

وفي مؤامرة أخرى حققت فيها مع ضباط مسرحين اتهموا بمحاولة انقلاب لصالح العراق، تبين لي أنها تفتقد الحجة المقنعة. فهم ضباط يعملون بمؤسسات الشراء وليس تحت أيديهم قطعة سلاح أو يتحكمون بموقع حساس، فبأي شيء يصنعون انقلابهم؟ ذهبت الى شقير فاذا بي أرى عنده الرافعي وهو قاض مدني اختير للقضاء العسكري. كان يتمم حديثه قائلا لشقير "اذا نفذوا من هذه التهمة فاننا نعلقهم بهذه التهمة، واذا نفذوا منها فاننا نعلقهم بثالثة ".. ثار غضبي وقلت له "خرب الله بيتك! هل نحن جلادون؟ نعلق مشانق للناس دون مبرر لمجرد أنهم لا يعجبوننا، أو هم خصوم لنا في الرأي، أو هم من غير طبقتنا أو طائفتنا؟ والتفت الى شقير قائلا:

–سيادة اللواء، انه يورطك، فالجماعة لم يقترفوا ذنبا ولم يقوموا بعمل يستدعي تيتيم أطفالهم أو سجنهم والتنكيل بهم!..

ولم أخرج من عنده الا وبيدي قرار الافراج عنهم.. وكان أول شيء فعلته حينما عدت الى الشعبة الأولى أن طردت ذلك القاضي من مديرية القضاء العسكري، لأنه غير جدير بمنصب يوكل اليه فيه أرواح الناس..

وفي مؤامرة العجلاني بدت الأحكام التي أصدرتها بحق المتآمرين قاسية بالنسبة لشكري القوتلي الذي كان في القاهرة حينذاك وكان يخشى القدوم الى دمشق خوف أن يجبره العسكريون على تنفيذ الأحكام. أرسل الي جلال عقيل القاضي العسكري يستطلع رأيي في تنفيذ الأحكام.. فقلت له "ان مهمتنا تنتهي على قوس المحكمة. انها اهانة لنا أن نتهم بالجمع بين السلطة القضائية والسلطة التنفيذية فهل تظن أننا سنمسك بالمتآمرين وننفذ فيهم حكم الإعدام في المرجة؟ هناك رئيس دولة، وحكم ديموقراطي

هو مسؤول بآخر المطاف في هذه القضايا التي تستهدف أمن البلاد. فاذا شاء أن يخفف الأحكام لاعتبارات داخلية أو خارجية هو أدرى بها، فان له مطلق الصلاحية ولا نعترض أبدا على حكمه، فان مهمتنا انتهت بانتهاء المحاكمة..

عاد شكري القوتلي الى دمشق على الفور وعدل كثيرا من الأحكام التي صدرت بحق المتآمرين، ولم يعدم أحدا. كان عبد الناصر في مصر يحرضه علينا. يريدنا أن نتورط في سوريا بالدم كما فعل هو في مصر بجماعة الاخوان، وكان منهم وكان يعرف كل أسرارهم فلما انقلب عليهم لفق لهم تهمة محاولة اغتياله وأدانهم وعلق مشانق قادتهم ودمرجماعتهم تدميرا..

* * *